الفصل الرابع

الإسكندرية.. عاصمة الأجانب والسينما

كان لموقع الإسكندرية المتميز بحوض البحر المتوسط عامل مهم من عوامل انتقال كثير من مهاجرى الدول المطلة على البحر المتوسط كإيطاليا وفرنسا وسواحل البلقان فى اليونان وألبانيا.. وبالتدريج بعد أن كان الغرض هو التجارة واستخدام مدينة الإسكندرية كطريق مرور عالمى.. أقام هؤلاء المهاجرون بالمدينة وانصهروا مع أبنائها، وأصبحوا جزءا من كيانها الحضارى.. ومن المعروف أنهم كانت تربطهم علاقات وطيدة ببلدانهم ولذا كانوا يحضرون معهم كل المخترعات التى تتم فى أوربا، ومن هذه الاختراعات كانت السينما.

ظاهرة فوضى الإنتاج:

هناك إجماع على أن أول عرض سينمائى لأفلام لوميير الأولى بالعالم العربى تم فى الإسكندرية فى ٥ نوفمبر ١٨٩٦م.

ثم بدأت العروض تنتشر فى جميع أنحاء الإسكندرية وخاصة للجاليات الأجنبية.. فكانت العروض للجالية الفرنسية تتم فى «سينماتوغراف لوميير».. وكانت أولى العروض فى يناير ١٨٩٧م.

وكانت العروض التى تهم الجالية الإيطالية تتم فى «سينماتوغراف ايربانوراما» التى تم افتتاحها فى ١٧ أغسطس ١٩٠٦م فى شارع صلاح الدين.

وفى عام ١٩٠٦م استورد المصوران الإيطاليان «عزيز بندرتى» و «امبرتو ملافاس دوريس» الاسطوانات الناطقة للتعليق على الأفلام التى يعرضونها بدار العرض التى أقاماها فى ٢٩ نوفمبر ١٩٠٦م وهى «سينمافون عزيز ودوريس» بمحطة الرمل والموجودة مكانها الآن سينما ستراند، وكان يعمل معهما المصور «إلفيزى أورفانللى».

كما قام بعض المصورين الأجانب المقيمين بالإسكندرية فى عام ١٩٠٧م بإحضار أشرطة فيلمية من دول أوربا وخاصة فرنسا، وكانت مدة كل شريط ١٠ دقائق.. وقام أحد هؤلاء ويدعى «مسيو لاجارين» بإقامة دار عرض سينمائى باسم سينما «باتييه»، وقام بعرض الأفلام التى جلبها من فرنسا بغرض الإتجار والربح.. ثم قام بإحضار معدات تصوير وأخذ يسجل ويعرض الأحداث المهمة بمدينة الإسكندرية ومنها «عودة الخديوى من الآستانة» و «القداس بكنيسة سانت كاترين» و «حركة المسافرين بمحطة سيدى جابر».

كما قام عزيز ودوريس فى ٢١ يونيو ١٩٠٧م بتصوير «زيارة الخديو للمعهد العلمى بمسجد أبى العباس» – وقد جاء فى كتاب «تاريخ السينما المصرية» للمؤرخ أحمد الحضرى: «إن شريط زيارة الخديو للمعهد العلمى يعد أول تصوير سينمائى محلى فى تلك الحقبة» وتوالى بعد ذلك إنتاج الأشرطة الفيلمية للإيطاليين «لاريتشى، وبوتشينى، وأمبرتو دوريس»

شركات الإنتاج والاستديوهات:

عندما قامت الحرب العالمية الأولى، حدثت أزمة اقتصادية فى إيطاليا كان لها تأثير كبير فى صناعة السينما التى كانت تعتمد على

السوق المصرية فى توزيع أفلامها.. فقرر بعض رجال المال وبعض صغار صناع الأفلام العمل فى مدينة الإسكندرية كمكان بديل يواصلون فيه إنتاج أفلامهم وذلك لوجود جاليات أجنبية كثيرة وكبيرة بالإسكندرية وخاصة الجالية الإيطالية، فتم عقد إتفاق بين مسيو دوريس وبنك دى روما على تمويل إنتاج أفلامهم السينمائية، وكانت بداية تكوين أول شركة سينمائية فى مصر باسم «الشركة الإيطالية المصرية للسينما» وقد تكونت فى ٣٠ أكتوبر ١٩١٧م.

قامت بعد ذلك من ١٩٢٠م - ١٩٢٦م عدة شركات سينمائية مملوكة لأجانب مقيمين بالإسكندرية، من هذه الشركات:

شركة «كوندور فيلم» لصاحبيها إبراهيم وبدر لاما.

شركة «الفيلم الفنى» لصاحبيها شوتز وبوتشينى.

شركة «مؤسسات جومون» لتوزيع الأفلام الفرنسية فى مصر.

بعد تكوين «الشركة الإيطالية المصرية السينمائية» قامت بإنشاء أول استوديو سينمائى فى الإسكندرية عام ١٩١٧م، وقد أقامته على قطعة أرض مساحتها ٦٠٠متر مربع بمنطقة النزهة وأسمته «استوديو النزهة»، وكان أول إنتاج لهذه الشركة فيلم «شرف البدوى» ثم فيلم «الأزهار المميتة» وكان طول عرض كل فيلم قد بلغ عشرين دقيقة، وقد عرض الفيلمان فى أواخر عام ١٩١٨م بدار عرض «سانتكلير» بالإسكندرية، وفشل الفيلمان فشلا ذريعا، وقد شارك محمد كريم بالتمثيل فى هذين الفيلمين، وتوقفت الشركة عن العمل وأنهت أعمالها بالإسكندرية وأشهرت إفلاسها.

وقام المصور الإيطالى «الفيزى أورفانللى» بشراء كاميرات التصوير وآلات الطبع والتحميض من الشركة، ثم قام بإنشاء استوديو سيتنائى ضخم فى فيلا بشارع القائد جوهر بمنطقة المنشية، وشرع فى إنتاج الأفلام القصيرة. وفى عام ١٩١٩م استعان بزميل له يدعى «لاريتشى» ليخرج له فيلم «مدام لوليتا» وقام هو بالتصوير، وقد قام ببطولة الفيلم أعضاء فرقة دار السلام لصاحبها «فوزى الجزايرلى» الذى عمل بعد ذلك فيلم «ليلة فى العمر» من إخراج «الفيزى أورفانللى» وذلك عام ١٩٣٧م. وفى عام ١٩٢٠م أنتج فيلم آخر باسم «الخالة الأمريكية» وأخرجه «بون فيل» صاحب «سينماتوغراف راديوم» بشارع عماد الدين بالقاهرة، وقد قام «على الكسار» بأداء دور امرأة لأول مرة فى تاريخ السينما المصرية، وفى عام ١٩٢٢م عرض فيلم «خاتم سليمان» وقام بتصويره «الفيزى أورفانللى» وأخرجه «لاريتشى».

ثم أخرج «الفيزى أورفانللى» عدة أفلام فى بداية الثلاثينيات بعد أن نقل نشاطه إلى القاهرة، ومن هذه الأفلام:

ثمن السعادة عام ١٩٣٧م بطولة فاطمة رشدى وحسين صدقى.
خدامتى عام ١٩٣٨م بطولة مختار عثمان وسلوى علام.
يوم المنى عام ١٩٣٨م بطولة على الكسار وسلوى علام.
تحت السلاح عام ١٩٣٩م.
أحب العقل عام ١٩٤٠م.

صناعة النجوم والعصر الذهبى للسينما:

فى عام ١٩٢٦م وصل إلى الإسكندرية عن طريق الميناء بواسطة إحدى السفن شابان فلسطينيان قادمين من شيلى وهما (بدر لاما ١٩٠٧م – ١٩٤٧م) و(إبراهيم لاما ١٩٠٤م – ١٩٥٠م) انضما إلى جماعة «أنصار الصور المتحركة» التى تحولت بعد ذلك إلى شركة سينمائية عرفت باسم «مينا فيلم» وضمت كل هواة الفن السينمائى بالإسكندرية»، ثم قام الأخوان لاما بتأسيس شركة «كوندور فيلم» وإنشاء «استوديو لاما» فى صحراء فيكتوريا.

وفى عام ١٩٢٧م بدأ «إبراهيم لاما» إخراج أول أفلامه «قبلة فى الصحراء» الذى قام ببطولته «بدر لاما» إلى جانب ممثلة أجنبية فرنسية هى «إيفون جينادى»، وكان الفيلم تقليدا للأفلام الأمريكية التى كان يقوم ببطولتها «رودلف فالنتينو» التى كانت تعتمد على الفروسية والمغامرات، وقد عرض فى ٥ مايو ١٩٢٧م بدار سينما «الكوزموجراف الأمريكية» بالإسكندرية، وقد تكلف إنتاجه خمسة آلاف جنيه مصرى، وطوله سبعة فصول، ويلاحظ أن عرضه قد تم قبل فيلم «ليلى» الذى تؤرخ له بدايات السينما فى مصر، والذى عرض بعد فيلم الأخوين «لاما» يوم ١٦ نوفمبر ١٩٢٧م.

وفى عام ١٩٢٨م كان فيلمهما الثانى «فاجعة فوق الهرم»، وقد كتب له الأخوان لاما القصة والسيناريو والحوار وقاما بالتصوير والمونتاج والإخراج، وكان من بطولة «بدر لاما» و «فاطمة رشدى» وشقيقتها «رتيبة رشدى» و «محمود خليل راشد»، ولكن الفيلم فشل وهوجم من النقاد.

وفى عام ١٩٣١م كان فيلمهما الثالث «معجزة الحب» الذى قام ببطولته «بدر لاما» و«مختار حسين» الرياضى المعروف آنذاك،

و«ثريا رفعت» وأخرجه «إبراهيم لاما، وكان هذا الفيلم آخر أفلام الأخوين لاما بالإسكندرية.. وانتقلا بعد ذلك إلى القاهرة، وقاما بإنشاء «استوديو لاما» بحدائق القبة – فيما بعد عرف باسم استوديو جلال – وقدما من خلاله أفلاما اجتماعية وكوميدية وتاريخية منها:

وخز الضمير عام ١٩٣١م تمثيل آسيا– مارى كوينى.
الضحايا عام ١٩٣٢م تمثيل بهيجة حافظ– زكى رستم.
شبح الماضى عام ١٩٣٤م تمثيل نادرة – بدر لاما.
معروف البدوى عام ١٩٣٥م تمثيل نبوية مصطفى – بدر لاما.
الهارب عام ١٩٣٦م تمثيل سمير عبد الله (ابن بدر لاما).
نفوس حائرة عام ١٩٣٧م.
الكنز المفقود عام ١٩٣٨م إخراج إبراهيم لاما.
ليإلى القاهرة عام ١٩٣٨م تمثيل حسين المليجى – نعمات المليجى.
قيس وليلى عام ١٩٣٩م.
رجل بين امرأتين عام ١٩٤٠م تمثيل بدرية رأفت – أمينة رزق– بدر لاما.
صلاح الدين عام ١٩٤١م.
ابن الصحراء عام ١٩٤٢م.
خفايا الدنيا عام ١٩٤٢م.
الستات فى خطر عام ١٩٤٢م.
كليوباترا عام ١٩٤٣م تمثيل بدر لاما – أمينة رزق – بشارة واكيم.
عريس الهنا عام ١٩٤٣م.
نداء الدم عام ١٩٤٣م.

كنز السعادة عام ١٩٤٦م تمثيل فاتن حمامة – سمير عبد الله.
الحلقة المفقودة عام ١٩٤٧م تمثيل فاتن حمامة – أحمد علام– حسن فايق.
يسقط الحب عام ١٩٤٧م.
البدوية الحسناء عام ١٩٤٧م.

توجو مزراحى.. وبناء السينما المصرية:

ولد «توجو مزراحى» بمدينة الإسكندرية فى ٢ يونيو عام ١٩٠١م لأسرة متمصرة، تعلم بمدارس الإسكندرية حتى حصل على دبلوم التجارة الفرنسية، رحل إلى إيطاليا فى عام ١٩٢١م ليكمل تعليمه فى دراسة التجارة ولكنه انتقل إلى فرنسا، وفى عام ١٩٢٨م عاد إلى الإسكندرية.

قام بتأسيس شركة «الأفلام المصرية» بالإسكندرية، وفى عام ١٩٢٩م قام بإنشاء استوديو سينمائى –توجد مكانه الآن سينما ليلى بباكوس– وجهزه بمعدات التحميض والطبع وغرف المثلين، وفى بداية رحلته مع السينما ظهر تحت اسم «أحمد المشرقى» خوفا من غضب عائلته.

فى عام ١٩٣٠م عرض أول أفلامه «الهاوية» بدار سينما «بلفى»، وبعد ثلاثة أشهر عرض فى القاهرة تحت اسم جديد «الكوكايين» فى ٢٣ فبراير ١٩٣١م، وقد قام «توجو مزراحى» بإنتاج وإخراج وتصميم الديكور وكتابة السيناريو والحوار وعمل المونتاج، وقام بتمثيله ممثلون بأسماء مستعارة مثل «عبد الله ثابت» «فاطمة ثابت» «فاطمة حسن مشرقى».

وأحداث فيلم «الهاوية» أو «الكوكايين» دارت حول عامل يحاول إغراء زوجة صديقه الجميلة بالمال واستمالتها فيفشل، فيسعى للوصول إليها عن طريق دفع هذا الصديق إلى إدمان الكوكايين، فينحرف ويطرد

من عمله، وتنهار الأسرة، وتتطور الأحداث إلى أن يقتل هذا المدمن ابنه ويُحكم عليه بالإعدام، أما الصديق الشرير فيموت بالسقوط من فوق إحدى السقالات التى يعمل عليها فى إحدى العمارات. ومن الملفت للنظر أن الذى قام بتصوير الفيلم «الفيزى أورفانللى»، كما أنه من الملفت للنظر أيضا أنه عند عرض الفيلم فى القاهرة قام حكمدار القاهرة الإنجليزى فى ذلك الوقت «رسل باشا» بإرسال خطاب شكر لتوجو مزراحى عن إنتاج هذا الفيلم الذى يعالج مشكلة اجتماعية خطيرة فى نظر الحكمدار.

فى العام التالى ١٩٣٢م قدم فيلم «٥٠٠١» (خمسة آلاف وواحد) وقد قامت ببطولته «دولت رمزى».. وفى عام ١٩٣٣م قدم فيلمه الناطق الأول «أولاد مصر» من تمثيله مع «حنان رفعت» وشقيقه الذى اختار لنفسه اسم «عبد العزيز المشرقى».. ويعتبر هذا الفيلم من أوائل الأفلام التى قام بتصويرها مدير التصوير الرائد عبد الحليم نصر، وقد قام بتصوير جميع أفلام «توجو مزراحى» التى أخرجها بعد ذلك فيما عدا فيلم «ليلة ممطرة».

تدور أحداث فيلم «أولاد مصر» عن شاب فقير لكنه متفوق فى دراسته ويقع فى حب شقيقة زميله فى الدراسة وهى ابنة باشا، ولكنه ابن لرجل يعمل على عربة كارو، ويتقدم لخطبتها لكن أسرتها ترفض هذا الزواج احتقارا لمهنة والده، فيصاب الفتى بالجنون، وينتهى الفيلم بشفائه وفوزه بجائزة كبرى فى مسابقة هندسية وزواجه من فتاة أحلامه والفيلم يتناول مشكلة الفوارق الطبقية.

وفى عام ١٩٣٤م يقدم أول أفلامه الكوميديه «المندوبان» وقد قام بتمثيله أشهر ثنائى كوميدى فى المسرح المصرى فى تلك الفترة «فوزى

الجزايرلى» فى دور «المعلم بحبح» و «إحسان الجزايرلى» زوجته «أم أحمد»، فيحقق الفيلم نجاحا كبيرا، ويواصل «توجو مزراحى» استغلال نجاح الثنائى الكوميدى «فوزى الجزايرلى وإحسان الجزايرلى» فيقدمهما فى فيلمه التالى «الدكتور فرحات» عام ١٩٣٥م ويشاركهما بالتمثيل فى أحداث الفيلم.

وفى عام ١٩٣٥م قدم أيضا فيلمين، الأول «شالوم الترجمان» بطولة «شالوم» و «بهيجة المهدى» و «عبده محرم» ويدور حول زيارة سائح أمريكى مع ابنته المخطوبة لشاب أمريكى للإسكندرية، فيتعرف إلى بائع اليانصيب «شالوم» ويتخذه دليلا وترجمانا له أثناء زيارته لمصر، على الرغم من كونه لا يعرف أى لغة أجنبية، وينتقل شالوم مع السائح وابنته إلى القاهرة، وحين تتحدث الابنة عن غرامها بحبيبها الأمريكى يعتقد أنها تحبه هو، ويصل الخطيب الأمريكى إلى القاهرة فيدرك «شالوم» الحقيقة.. وفيلمه الثانى عام ١٩٣٥م كان باسم «البحار» بطولة فوزى وإحسان الجزايرلى» وقام «توجو مزراحى» فى الفيلم بدور «حميدو» ابن البلد.

وفى عام ١٩٣٦م قدم أيضا فيلمين مع «بربرى مصر الوحيد على الكسار» الأول باسم «مائة ألف جنيه» والثانى باسم «خفير الدرك»، والفيلمين للممثلة «زوزو لبيب».

فى عام ١٩٣٧م قدم «العز بهدلة» بطولة «زوزو لبيب» و «أحمد الحداد» و «شالوم»، وفيلم «الساعة سبعة» بطولة «على الكسار و «بهيجة المهدى» (اسمها الأصلى هنريت كوهين) و «عز الطلب» و «شالوم الرياضى».

ثم قدم فى عام ١٩٣٨م «التلغراف» بطولة على الكسار و «بهيجة المهدى»، وفيلم «أنا طبعى كده» بطولة «زوزو شكيب» و «فؤاد شفيق».

بعد ذلك نقل نشاطه إلى القاهرة وأخرج ١٩ فيلما، وأنتج عددا آخر من الأفلام، وفى عام ١٩٤٨م غادر «توجو مزراحى» القاهرة إلى إيطاليا وأقام هناك وتوقف عن النشاط السينمائى حيث توفى فى ٥ يونيو عام ١٩٨٦م.

وكل هذا يشير إلى أن السينما بالإسكندرية كانت رائدة فى عهدها الصامت، ومع بدايات دخول الصوت.. وأن من سمات مرحلة النشوء والتطور (١٩٢٠م - ١٩٣٩م) أن الجاليات الأجنبية جعلت السينما فى مصر رائدة لغيرها من الدول، بيد أنها لم تكن مصرية خالصة، حتى جاء «محمد بيومى» الرائد الحقيقى للسينما المصرية، والذى لم يكن مجال تلك الدراسة عن دوره، بل هى عن تأثير الأجانب فى السينما بالإسكندرية.

ولا يمكن بالطبع إغفال دور الجالية اللبنانية أو اليونانية وأهل الشام المقيمين بالإسكندرية، والذين لم يكن دورهم فى البدايات يتعدى بناء دور العرض السينمائى أو استئجارها من الأجانب التى آلت إليهم بعد وفاة ملاكها، ومن هؤلاء:

«جورج قرداحى» - لبنانى- قام ببناء سينما «بلازا» وسينما «رويال» ومسرح «محمد على - مسرح سيد درويش الآن».

«إلياس جورج لطفى» - لبنانى - حصل على الجنسية المصرية وكان يمتلك سينما «ركس» بالمنشية وسينما «رمسيس».

«مسيو أرسلانيدس» - يونانى - قام ببناء سينما «أوديون».

* * *